Graduate College Journal – NU
Vol. 15 -2020, Issue (3)
ISSN: 1858-6228, http://www.neelain .edu.sd

مجلة الدراسات العليا - جامعة النيلين
المجلد 15–2020، العدد (3)
الرقم الدولي الموحد للدوريات: 1858-6228

النَّقد الأدبِيّ في العصرينِ الأمويّ والعباسيّ

دراسة أدبيَّة نقديَّة

حسن علي معو, فوزي عبد الكريم محمد الزين و عادل الطيب محمد أحمد
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الجزيرة – حنتوب البريد الالكتروني: Hassandhiifaarlibaax180@hotmail.com

المستخلص

ومن المعروف أنَّ النقد يرتبط بالإبداع ارتباطًا تامًا. فالنقد يبدأ مباشرة بعد وجود النص الإبداعي. وأنَّ المبتدع يمعن النظر قبل أنْ ينظر غيره في نصه المنتج. والمبدع يقدم النص للمتلقي من غير أنْ يكشف ما بداخله من فكرة أوتجربة. فالمبدع يشترط أنْ يكون لديه الاستعداد الفطري كما يشترط أيضا كون الناقد موهوبًا وذا اكتساب ثقافي واسع، بحيث تنطلق موهبته على سرعة حسن الفهم والتذق بالمعاني. وأنَّ هدف الناقد التفسير والتحليل. فالناقد كمفسر، إذْ أنَّ ما يعرضه يكون متغلغلا خلال قلب الأفكار التي أمامه ويحل هذه الأفكار والصفات من الجمال والقوة. هدفت الدراسة إلى إعطاء فكرة عامة عن حال النقد الأدبي في العصرين الأمويّ والعباسيّ بالإضافة إلى الوقوف على نشأته وماهيته. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أنَّ النَّقد ظهر منذ عصر الجاهلية وعرف وجوده في الوقت الذي ظهر فيه الأدب. وازدهارالنَّقد في العصر الأموي ازدهارًا ملحوظًا. حيث تمعن النَّاقد في الحضارة بما فيها الترف. وأنَّ النَّقد في العصر العباسي جرى في إطارالنَّقد الجاهي، بحيث يعتمد على التعمق على بعض أبيات القصيدة ونقدها ولا يختلف عن النقد الجاهلي سوى الإفصاح في الرأي. توصي الدراسة أنْ تدرس النُّقد الأدبي في العصرين الأمويّ والعباسيّ دراسة أدبيَّة نقديَّة مع عرض النماذج النَّقدية في تلك العصرين لفهم القارئ في المسائل النَّقدية عند بعض الشعراء.

الكلمات المفتاحية: النقد، النقد الأدبي، العصر الأموي، العصر العباسي.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله الواحد الغفار وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المختار. اللهم صلِّ وسلَّم على سيد الأنام وبدر التمام محمَّد خير قائد وإمام. إنَّ النَّقد هو الكشف عن مواطن الجمال أو القبح في الأعمال الأدبية، حيث يُعدُّ دراسة للأعمال الأدبية والفنون وتفسيرها وتحليلها وبيانها. وتبيان الجيّد والرَّدي منها. فالنقد يبدأ بعد وجود الأدب، ويتقدم لفهمه وتفسيره وتحليله. ويدخل في المجال الأدب العربي. ومن أجل ذلك ركزت في
اختيار موضوع البحث دراسة النقد الأدبي في العصرين الأمويّ والعباسيّ.

أهمية البحث

ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة تبدَّت في النَّواحي التَّالية:
1. مكانة النَّقد في الشعر العربيّ القديم.
2. وضع دراسة نظرية وتطبيقية في النَّقد الأدبي في العصرين الأُمويّ والعباسيّ.
3.إبراز وفهم النماذج النقدية الأدبية في العصرين الأمويّ والعباسيّ.

أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث على النحو التالي:
1. معرفة مفهوم النَّقد الأدبيّ بدءً بتعريفه اللُّغويّ في معاجم اللُّغة.
2. عرض النماذج النقدية الأدبية ومعرفة بعض الشعراء في النقد في العصرين الأمويّ والعباسيّ.

منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي.
قدم الباحث مقتطفات حول النقد الأدبي في العصرين الأموي والعباسي (دراسة أدبية نقدية) والبحث يتكون من: مقدمة وتمهيد ومبحثين.

مفهوم النَّقد، نشأته

النَّقد لغة

يقول ابن منظور في لسان العرب:[1] النقد خلاف النسيئة، والنقد والتَّنقاد: تمييز الدّراهم وإخراج الزَّيف منها، أنشد سيبويه:
تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرةٍ * نفيَ الدراهِمِ تنْقاد الصياريفُ ورواية سيبويه: نفي الدراهم، وهو من جمع درهم على غير قياس أو درهام على القياس فيمن قاله. والنقد: السُّفَلُ من الناس. وقيل: النَّقَد بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قِباح الوجوه تكون بالبحرين، يقال: هو أذلُّ من النقد، وأنْشد:

رُبَّ عديمٍ أعزُّ من أسدِ ورُبَّ مُثْرٍ أذلُّ من نقدِ

[1]. ابن منظور الأفريقي جمال الدِّين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان،ج14، 1419هـ – 1999م، ج14، مادة(نقد).

قال ابن فارس في مقاييس اللغة:[1] (نقد) النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيءٍ وبروزه. من ذلك: النقد في الحافر، وهو تقشُّره، حافرٌ نَقِدٌ: متقشِّرٌ. والنَّقْد في الضِّرس: تكسُّره، وذلك يكون بنكشُّفٍ ليطه عنه. ومنه نقد الدِّرهم، وذلك أنْ يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك. ودِرهمٌ نَقِدٌ: وازِنٌ جيِّدٌ، كأنَّه قد كُشِفَ عن حاله فعُلِم.

ونقد الشيء ينقده نقدًا: إذا نقره بأصبعه كما تنقر الجوزة. والمِنْقدةُ: حريرة يُنْقَد عليها الجوز.[2] والنقد: اختلاس النَّظر نحو الشيء[3]

ونقدتْه الحيَّة: لذغتْه، وله نَقَدٌ ونِقادٌ وهي صغار الغنم وصاحبها: النَّقَّاد. قال أبوزبيد:

كأنَّ أبواب نقَّادٍ قُدِرْنَ له يعلو بخملتها كهباء هُدَّابا[4]

فالمعاني اللُّغوية لكلمة النَّقد تدور حول: النظر والفحص والتميز، وما يمكن أنْ يتَّصل به من العيب الذي هو نتيجة النظر والفحص، ومن الانتقاء والاختيار والحكم وهي متَّصلة بعد ذلك بالاستعمال المجازي للنَّقد في الأمور المعنوية كالنَّقد الأدبي.[5]

وفي القرن الثالث الهجري استعمل كلمة(النَّقد) في الشعر أكثر من استعماله في النَّثر، ومن أوائل الشعراء الذين استعملوا النَّقد في الشعر: البحتري، فقد روى أنَّ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر سأل البحتري عن مسلم بن الوليد وأبي نواس أيهما أشعر؟ فقالوا أبو نواس، فقال عبيدالله: إنَّ أبا

العباس ثعلبًا لا يوافقك على هذا، فقال: ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله.. إنَّما يعلم ذلك من دفع في طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته.[6]

والنَّقد على إطلاق معناه من أهمِّ ما تقوم به الحياة وترتقي به الحضارات، وترتكز عليه الأمم في تطورها، وتبني به الشعوب قواعدها الثابتة، وتقيمها على أسس سليمة وتفاخر بها العالم، ذلك أنَّنا بالنَّقد نعرف الصحيح من الخطأ والجيِّد من الردئ والحسن من السيئ.[7]والأدب موضوع النَّقد وميدانه الذي يعمل فيه، وأدب أيِّ أمَّة هو المأثور من بليغ شعرها ونثرها، والأدب عملية خلق وإبداع، ومنه ما يسمو صعدا إلى الكمال ومنه ما يقصر دون ذلك.[8]

وفي الاصطلاح: هناك تعريفات عدَّة نورد بعضًا منها:

النَّقد: هو فن تقويم الأعمال الأدبية والفنية، وتحليلها تحليلًا قائمًا على أساس علمي، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها وصحة نصِّها وإنشاؤها، وصفاتها وتاريخها.[9]

والنَّقد: هو الذي يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته، وتمييز جيِّده من رديئه سواء كان النقد علمًا أو فنًا فإنَّه ليس قائمًا بذاته، وإنَّما هو متَّصلٌ بالأدب يستمدُّ منه وجوده ويسير في ظله، يرصد خطاه واتجاهاته.[10]

النَّقد: هو فن دراسة الآثار الأدبية وتقويمها وإظهار الجيِّد منها ومواطن الضَّعف والفشل، فالنَّقد إذًا يهتم بإنتاج الأديب من الشعر أو النثر على السواء.[11]

النقد: "هو تمييز الخبيث من الطيب، والصَّالح من الضار من كلِّ شأنٍ إلى شؤون هذا العالم: من علوم وآداب وأخلاق وصناعات، وفنون وسياسات وغير ذلك من أمور الحياة وهو مفطور في الإنسان من منذ نشأته، فهو يميل إلى الصَّالح النَّافع، ويتباعد عن الضار الممقوت".[12]

النَّقد الأدبي: هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة وهو روح كلِّ دراسة أدبية، وهو ملكة يدرك بها الإنسان نواحي الحسن والجمال في العمل الأدبي، كما يستطيع عن طريقها أنْ يقف عن مظاهر الضعف والتخلُّف فيه.[13]

نشأة النَّقد

لا بُدَّ للأثر الأدبي في نفوس الناس من صدى يتمثل في استجابتهم له واحتفائهم به أو في نفورهم منه وازورارهم عنه، يقف هذا الصدى عند ذلك الحد حينًا ويتعداه إلى إصدار بعض الأحكام العامة بالجودة أو بالرداءة أحيانًا، وترسل هذه الأحكام مبهمة وموجزة دون مقدمات أو حيثيات تارة وقد تحلل أو تعلل تارة أخرى. وعلى هذا الوجه وبتلك الكيفية نشأ النَّقد الأدبي عند العرب، بل على هذا الوجه وبتلك الكيفية نشأ النَّقد الأدبي عند غير العرب في القديم والحديث، فقد كان نشأته على هذه الصورة نشأة طبيعية تقتضيها وتحتمها عملية الإنتاج الأدبي، ففي داخل

---

[1]. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ – 1979م،، مادة(نقد).

[2]. ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، لبنان، 1413هـ – 1993م، ج2، مادة(نقد).

[3]. الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، ط3، 1390هـ – 1970م، ج4، مادة(نقد)

[4]. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ط2، 1973م، ج2، مادة(نقد).

[5]. عمارة، أحمد، دراسات في النقد الأدبي القديم، مكتبة الرشد، ط2/ 1428هـ – 2007م، ص: 8

[6]. عمارة، أحمد، دراسات في النقد الأدبي القديم،مرجع سابق، ص: 10

[7]. مناع، هاشم صالح، بدايات في النَّقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط1،بيروت، 1994م، ص: 83

[8]. عتيق، عبد العزيز، في النَّقد الأدبي، دار النهضة العربية ط2، بيروت، 1391هـ - 1972م، ص: 263

[9]. خليل، إبراهيم محمود، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4/ 2011م – 1432هـ، ص: 11

[10]. عتيق، عبدالعزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، ط1406/4هـ – 1986م، ص: 7

[11]. سلوم، داؤود، تاريخ النقد الأدبي الحديث من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، مطبعة الإيمان، بغداد، 1969م، ص: 3

[12]. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق: محمد عيسى منون، المطبعة المليجية، ط1، 1352هـ – 1934م، ص: 5

[13]. عمارة، أحمد، دراسات في النقد الأدبي القديم، مرجع سابق، ص: 8

كل أديب منشىء، فنان ناقد يُقوِّم أدبه ويُعدِّله بالتقديم والتأخير، وبالحذف والزيادة،

يتجاوز الخطأ إلى الصواب، ويتخطى الفاضل إلى الأفضل وهكذا هو يصدره، ثم يكون هو مستقبله الأوَّل، وعلى صفحة قلبه وعقله ينعكس صداه قبل أنْ يخرج إلى الحياة، يغنيه شعرًا على أوتار روحه، ويوقعه لحنًا على دقَّات قلبه، فإن ارتاح له ورضي به عفا عنه وأذاعه في الناس وإلَّا أمسكه ووكَّله إلى النَّاقد الكامن فيه، فلم يكن الشاعر في زهير هو صاحب الحوليات هو الناقد المقيم فيه، ولو وقعتْ لنا المسودات التحريرية أو الشفهية لكلِّ عملية أدبية لوجدنا أنَّها أطول منها بكثير، فلم يكن عملية الخلق الأدبي للقصيدة تستغرق من الفنان المنشىء غير وقت قصير، رُبَّما دفعة أو دفعتين من دفعات الإلهام، فأمَّا عملية التدبيج والترميج أي عملية النَّقد فكانتْ تقتضيه أو تقتضي النَّاقد المستكن فيه الوقت الطويل والجهد الكثير، يقول الجاحظ:« ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كرتيا وزمنًا طويلًا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتّهامًا لعقله وتتبُعًا على نفسه فيجعل عقله زمامًا على رأيه ورأيه عيارًا على شعره إشفاقًا على أدبه، وكانوا يسمُّون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات.»[1]

اليونان القدماء هم الذين سبقوا إلى وضع النَّقد وقواعده، فقد ظهرتْ عندهم أقدم صوره، وترقَّت برقى شعرهم ونثرهم وما وصلوا إليه من حضارة وترف عقلي وعمق في التفكير، حيث أنَّ هذا العمق هو الذي جعلهم ينتجون الفلسفة كما جعلهم ينتجون بحوثًا مختلفة في الاجتماع والسياسة والأخلاق، وقد بدأ النَّقد عندهم بدءًا ساذجًا، ثم أخذ ينعقد شيئًا فشيئًا حتى أخذ شكله النِّهائي عند أرسطو.[2]

فقد أوتي الأُمَّة اليونانية منذ بدايتها دِقَّة في الحس وطلاقة في اللسان ظهرا فيما كان يلاحظه أبناؤها على الشعراء من مآخذ أو محاسن تتصل باللفظ والمعنى والوزن والإنشاء، وكان منهم الرواة والمتعصبون، كما كان بين الشعراء المتنافسون والمتسابقون، وكانت هذه الملاحظات النَّقدية قائمة على الذَّوق الساذج دون أنْ يكون هناك أصولٌ نقدية مقررة يرجع إليها النُّقاد، ثم جاء عهد تدوين الإليادة والأودسا بإشارة سولون، فقد كان وسيلة للنَّقد والتحقيق وتمحيص نصوصها بنفي ما يناقض الميول الفردية والاجتماعية والذَّوقية لمكانة الشعر عند اليونان، وعن ذلك صدرتْ أوّضل نسخة للقصتين فوضعتْ بذلك حدًا لعبثْ الرواة بهما وإفساد نصوصهما، حيث كان أساس هذا النَّقد الأدبي الجديد ذلك النظام الذي وضعتْه الدَّولة للحكم بين الشعراء والفصل فيما ينتجون من قصص، إذْ يقدِّم كلُّ شاعر جملة من قصصه إلى محكَّمين يقدِّمون للتمثيل فيما يرونه منها صالحًا، ثم يكون للجمهور المستمع رأيه أيضًا بما يشهد أثناء التمثيل وبما يتلقى من مؤثرات، ولكن حكم الجمهور تعرض للطَّعن والتجريح لاختلاف طبقاته وعدم قدرته على استبقاء كلُّ العناصر التي تهيء للحكم السديد فعين قضاة من أفراده ينهضون بهذا النَّقد العادي الذي قضتْ به القوانين وعنيتْ بشكله دون جوهره، وذلك دعا الشعراء إلى العناية بالقصص والمنافسة في إتْقانها من حيث موضوعاتها، ومعانيها وأساليبها.[3]

بدأ النَّقد العربي منذ القدم مع الأدب شعرًا ونثرًا، ولكنَّه بطبيعة الحال كان في أوَّل أمره بسيطًا ساذجًا لا يخرج عن مجرد الأحكام العامة يطلقها السامعون نتيجة تأثرهم لما يسمعون من الشعر أو الخطب، ولم يكن ينطوي على التعليل والتحليل، فهما نتاج القرائح المستقرة الناضجة والعرب في القدم كان ينقصهم الاستقرار والنضوج. حيث كان نقاد الجاهلية يطلقون أحكامًا متنوعة على الشعر في أيَّامهم تتناول الشاعر والقصيدة جملة، أو البيت المفرد، أو نصف البيت، وتختلف في أنواعها، فقد تكون أحكامًا متعلِّقة بالشاعر بشخصيته، أو تكون موضوعية تتعلَّق بما يدور حوله من الشعر ويتناوله من موضوعات، أو شكلية تتعلَّق بلفظ الشعر وشكله. فمن تلك الأحكام الأسماء التي أطلقوها على الشعراء، وتحوي حقائق عن فهم الشعر أو ما يتصل بذلك الفن من قريب أو من بعيد. فالمهلهل سمي كذلك لأنَّه أوَّل من هلهل الشعر وأرقه، والمحبر(وهو طفيل الخيل) سمي كذلك لتزيينه شعره، والنَّابغة لنبوغه فيه، والمرقش لتحسينه شعره وتنميقه. ومنها ما أوردته كتب الأدب من أحكام أكثر تفصيلًا، مثل قولهم: كفاك من الشعراء أربعة زهير إذا رغب، والنَّابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، و عنترة إذا كلب.[4]

النَّقد الأدبي عند العرب قديم جدًّا يرجع تاريخه على الأقل تاريخ الشعر الجاهلي من الطبعة الأولى، والأُمَّة العربية أُمَّة شاعرة بطبعها وفطرتها لما فطرهم الله عليه من صدق الحس وقوَّة العاطفة، ودِقَّة الوجدان، حيث كان همُّهم الإجادة في القول والتنقيح في اللفظ، فقد كان العربي منهم لا يطلب من وراء كلامه إلَّا التباهي بالفصاحة وحسن البيان، فكان لزامًا أنْ يكون العرب وقد وصلوا إلى هذه المثابة من أطيع الناس على النَّقد لانصرافهم إلى الشعر والإجادة في تنقيحه وخصوصًا عندما فشا التكسب بالشعر ونشأتْ طبقة الصنَّاع المنقحين المعروفين بعبيد الشعر أمثال النَّابغة الذبياني والأعشى، وزهير، حيث ظهر النَّقد عندهم بأكمل معانيه في أسواقهم أيام الجاهلية عندما كانوا يحتكمون إلى أولى الرأي فيها لتمحيص ما احتكموا فيه.[5]

ولمَّا جاء الإسلام وسمع العرب القرآن الكريم وأدركوا ما فيه من بلاغة وإعجاز، ودِقَّة معنى ورقة أسلوب، وبهرهم بآياته البالغة، وحكمه النادرة فتذوقوا من حلاوته، وتعبَّدوا بتلاوته فرَقَّ طبعهم، وسلس أسلوبهم وهجر بعض فحولهم عادته في قول الشعر(كلبيد) فقد عكف على القرآن يتذوق من حلاوته ويزود النَّفس من محاسن بلاغته وانقطع عن قول الشعر فلم يقل في الإسلام إلَّا بيتًا واحدًا هو:

الحمد لله إذا لم يأتِيني أَجَلِي حتى اكتملتُ من الإسلام سِربالَا

---

[1]. الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر،البيان والتبيين، ت: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1418ه – 1998م، ج2، ص: 9

[2]. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط9، القاهرة، 1962م، ص: 9

[3]. الشايب، أحمد، أصول النَّقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط10، القاهرة، 1994م، ص: 106 - 107

[4]. سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، دار المعارف، مصر، 1964، ص: 74

[5]. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ص: 5

المبحث الأوَّل

النَّقد في العصر الأمويّ

ففي هذا العصر ارتقى النَّقد – وخاصة في أواخر القرن الأول الهجري – ارتقاءًا

ملحوظًا وكثر الخوض فيه وتعمُّق الناس في فهم الأدب، ووازنوا بين شعر وشعر، وبين شاعر وآخر، حتى أننا لنستطيع أنْ نقول: أنَّ عهد النَّقد الصحيح يبتدئ من ذلك الوقت.[1]

والذي نلاحظه أنَّ هذا النَّقد نما وازدهر في ثلاث بيئات: في الحجاز والعراق والشام، أمَّا ما عداها كفارس ومصر والمغرب فلم يزدهر فيها هذا العصر أدبٌ ولا نقدٌ فكأنَّ الشعر في عهده الأوَّل لم يشأ أنْ ينمو ويزدهر إلَّا في أرضه ومنبته، فإذا خرج الشاعر من أرضه اعتقل لسانه أو كاد، فنما في جزيرة العرب لأنَّها مهده، ونما في العراق والشام لأنَّهما على هامش أرضه، ومن قديم كانت صحراء الشام والعراق مبعثًا لشعره، فلم يجد فيها جديد، ولكن إذا سكن العربي مدينة تخالف طبيعة أرضه كمصر والمغرب وخراسان لم يتغن بشعره إلَّا قليلًا، وهي ظاهرة عربية حقًا تحتاج إلى درس وإمعان نظر[2]

فبيئة الحجاز تختلف بطبيعة الحال في هذا العصر عن بيئتي العراق والشام اختلافًا أثر في اتجاه الشعراء، وفي أغراض الشعر، كما أثر بالتالي في النَّقد الأدبي الذي يعيش غالبًا على ما تنتجه قرائح الشعراء.[3]

فقد كان الشعر الحجازي يطبعه الترف بطابعه في معانيه وصوره، وفي موضوعاته واتجاهاته، وفي ألفاظه وصياغته. كما كان ملائمًا لحياة الحجاز المترفة ولمجالسها الموسيقية الغنائية الغزلية. وكان لهذا التحول الكبير أثره في تحول مقياس النَّقد، حيث أصبح يلائم هذا الحس العام، وهذه القيمة الجديدة، ودليل ذلك قول ابن أبي عتيق في وصف شعر عمر بن أبي ربيعة« لشعر عمر نوطة بالقلب، وعلوق بالنَّفس، ودرك للحاجة ليستْ لشعر غيره، وما عصى الله – عزَّ وجلَّ – بشعر أكثر مِمَّا عصى بشعر بن أبي ربيعة، فخذْ عنّي ما أصف لك، أشعر قريش منْ دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطَّفتْ حواشيه وأنارتْ معانيه، وأعرب عن حاجته».[4]

فهذه المعاني جميعًا تنصب على فن الشعر وأسلوبه، من حيث المعاني الرقيقة والمنيرة، ومن حيث التعبير وسلاسته، حيث يخرج سهلًا من اللسان لا تعثر فيه، فيقع سهلًا في الآذان ليلج إلى القلب دون وعورة أو إغراب وهو مع ذلك محكم البناء، متين الحشو، تتعاطف أجزاؤه لشدَّة التصاقها، فكلامه يأخذ بعضه برقاب بعض، كما يقول بعض البيانيين المتأخرين، أو أنَّه متلائم لا متنافر تنافر بعض الكبش كما أورد الجاحظ في وصف شعر العي وهو مع هذا وذاك معرب عن الحاجة، صادق الدَّلالة، غير مُقصِّر عن الغاية.[5]

وأمَّا العراق فقد اختلف عن الحجاز، وأشهر مدينة فيه إذ ذاك البصرة والكوفة، وكانت البصرة أكثر تأثرًا بالثقافات الأجنبية من الكوفة لقربها من فارس، ولكثرة مَنْ بها من غير العرب من الموالي الفرس والنبط والسريان وغيرهم. وكانت الكوفة تجمع أشتاتًا من القبائل المختلفة وكانت في أغلبها علوية وكانت أقرب إلى الحيرة المشهورة بأديرتها وبأثر المسيحية فيها. ونزل البصرة عددًا من الصحابة كأبي موسى الأشعري وأنس بن مالك. وكان الأشعري من أكبر الصحابة علمًا. سأل عمر بن الخطاب أنس بن مالك: كيف تركت الأشعري؟ فقال: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: إنَّه كبير، ولا تسمعها إياه. ولَّاه عمر القضاء، فكان يقضي بين الناس ويفصل في الخصومات، وكان يجمع إلى علمه بالقرآن الحديث والفقه والدِّين. وكان أنس بن مالك أنصاريًا لقي النبيَّ صبيًّا بالمدينة، واشتهر بالحديث والفقه.[6]

كذلك خرجت البصرة جماعة من الأعلام في عصر الأمويين وعلى رأسهم الحسن البصري، وابن سيرين وكلاهما من أبناء الموالي، وكان الحسن مولى لزيد بن ثابت، ومن أكثر الصحابة علمًا، وعرف الحسن البصري بالتقوى وحسن الخلق والعلم والفصاحة، ولم يخش في الرأي لومة لائم، ووقف بين الفئتين المتخاصمتين العلوية والأموية موقف الحياد، ويُعد رأس المعتزلة لأنَّه تكلم في القضاء والقدر، وكان يذهب إلى أنَّ الإنسان حر الإرادة، وكان فقيهًا يستفتي فيما يعرض له من الحوادث فيفتي بعلم.

فالنَّقد في هذا العصر قد اتَّسع أفقه وتنوعتْ رجاله، وجنح إلى شيء من الدِّقة وتحديد بعض خصائص الصياغة والمعان، وعرض لهما من ناحية الصحة والصقل وملاءمة المعنى للصياغة كما توحى به السليقة العربية والذَّوق الفطري مع شيء من التحليل والتعليل أكثر مما كان عليه في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، حيث توجَّه النُّقاد في هذا العصر إلى المعاني يميّزون جيّدها من رديئها وصحيحها من فاسدها مقبولة أو غير مقبولة مطابقة لمقتضى الحال أم غير مطابقة، تتواكب مع الألفاظ أم غير مواكبة. وتوجَّه النُّقاد – أيضًا – إلى الصياغة من حيث إنَّها ألفاظ وأساليب ونظم للكلام، فنقدوا اللفظ من حيث سلامته اللُّغوية والنَّحويَّة ورقَّته وخشونته، عذوبته ووعورته، معانقته وحسن تأليفه وانسجامه مع ما قبله وما بعده ومطابقته للمعنى وايقاعه وتناغمه أي موسيقاه الخارجية المتمثِّلة في الأوزان العروضية، وكذلك توجَّه النُّقاد إلى العاطفة من حيث صدقها وكذبها وقوَّتها وضعفها في العمل الأدبي.[7]

وفي هذا الصدد يقول طه أحمد إبراهيم في كتابه(تاريخ النَّقد الأدبي عندالعرب): « بل إنَّ نقدهم للشعر جاوز بنيته ومعانيه إلى نقد الشعور –

---

[1]. الشوابكة، داؤود غطاشة، محمد أحمد صوالحة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دار الفكر، ط1، 1430هـ – 2009م، ص: 31

[2]. أمين، أحمد، النَّقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1387هـ – 1967م، ج1، ص: 361

[3]. عمارة، أحمد، دراسات في النَّقد الأدبي القديم، مرجع سابق، ص: 97

[4]. سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، ص: 80، وانظر حسين، عبد القادر، فن البلاغة، دار عالم الكتب، ط2، بيروت، 1405هـ – 1984م، ص: 32 - 33

[5]. سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص: 80 - 81

[6]. . سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري،مرجع سابق، ص: 82

[7]. أمين، محمود جمعة، النَّقد الأدبي في العصر الأموي بين النشأة والارتقاء، مطبعة زهران للطباعة، الأزهر، 1412هـ – 1992م، ص: 61

أي العاطفة – والتفرقة بين إحساس وإحساس. و نقد الشعور أعمق وأدق من نقد الصياغة والمعاني في أغلب الأحيان».[1]

ومن أمثلة النُّقد التي تهدف إلى صحة المعنى ما كان من أمر رجل من أهل سبأ مع معاوية أيضًا فقال له معاوية: ما كان أجهلَ قومَك حين ملَّكوا عليهم امرأة! فقال: بل قومك أجهل ! قالوا حين دعاهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، إلى الحق وأراهُم البينات "اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"[2] ألَا قالوا: اللَّهمَّ إنْ كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له!! قال: ولما سقطت ثنيَّتا معاوية لفَّ وجهَه بعمامة، ثم خرج إلى النَّاس فقال: لئن ابتُليتُ لقد ابتُليَ الصالحون قبلي، وإنِّي لأرجو أنْ أكونَ منهم. ولئن عُوقِبْتُ لقد عوقِبَ الخاطئون قبلي، وما آمن أنْ أكونَ منهم. ولئن سقط عضوان منِّي لما بقى أكثر. ولو أتى على نفسي لما كان لي عليه خيارٌ، تبارك الله تعالى فرحم الله عبدًا دعا بالعافية، فوالله لئن كان عتب عليَّ بعض خاصَّتكم لقد كنت حَدِبًا على عامتكم. ولمَّا بلغتْ معاويةَ وفاة الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، دخل عليه ابنُ عبَّاس فقال له معاوية: آجرك الله أبا عبَّاس في أبي محمَّدٍ الحسن بن عليٍّ! ولم يُظْهر حزنًا، فقال ابنُ عبَّاس: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! وغلبه البكاء فردَّه ثم قال: لا يسدُّ والله مكانه حُفرتُك، ولا يزيد موتُه في أجلك، والله لقد أُصبْنا بمن هو أعظم منه فقدًا فما ضيَّعنا الله بعده! فقال له معاوية: كم كانتْ سنُّه؟ قال مولده أشهَرُ من أنْ تتعرَّف سنُّه! قال: أحسَبه ترك أولادًا صغارًا؟ قال: كلُّنا كان صغيرًا فكبر، ولئن اختار الله لأبي محمدٍ ما عنده، وقبضه إلى رحمته لقد أبقى الله أبا عبدِالله، وفي مثله الخلف الصالح.[3]

وكذلك فطن نقاد هذا العصر إلى الخيال وإنْ لم يموه فهذا ذو الرمة يزهو بأنَّه يحسن التشبيه، والفرزدق يسجد سجدة الشعر لبيت لبيد والتشبيه ضرب من الخيال، وجملة القول أنَّ النُّقاد في عصر بني أمية فطنوا إلى كثير من خصائص الشعر الجيِّد فقد فطنوا إلى روعة النغم ورقَّة الشعور وما هو حسن من عناصر الشعر وما هو ردئ وإنَّ من المعاني ما هو صحيح وسقيم وما فيه زيغ وانحراف وفرَّقوا بين إحساس وإحساس، وإنَّ من الصياغة ما هو سهل وما هو جزل وما هو عذب سائغ وما يشوبه شيء من الحشو.[4] غير أنَّ نقدهم كان متوجِّهًا إلى المعنى لأنَّ المعاني من روح الأديب ومن عقله ولأنَّها تصوير لشعوره وتفكيره وكثيرًا ما يكون في ذلك مآخذ.[5]

وفي هذا العصر كانت هناك مجالس للنَّقد، حيث كانت تلك المجالس ذات أثر في حياة النَّقد. وكانت مجالس الخلفاء خير مظهر من مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبتهم، وأهمُّ تلك الخصائص حبُّهم الشعر وولوعهم بسحر البيان، ودرايتهم بتذوقه وقدرتهم على نقده، وتحسس جوانب الجمال فيه وتعرُّفهم إلى أسباب ضعفه أو رداءته بفطرتهم السليمة، وحسِّهم المرهف وأنيهم في ذلك وأجدرهم بالتنويه عبد الملك بن مروان الذي كان ولوعًا بتتبُّع الكلام، قادرًا على أن يضع يده على مواطن الضعف أو الخطأ في الأشعار، ومن ذلك أنَّه سمر ذات ليلة وعنده كثير عزة فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده إلى هذا البيت:

هممتُ وهمَّتْ ثم هابتْ وهبُها * حياءً ومثلي بالحياء حقيقُ

فقال له عبد الملك: أما والله لولا بيت أنشدنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك، قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنَّك شركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها، قال: فأيُّ بيت عفوت به عني يا أمير المؤمنين؟ قال قولك:

دعُوني لا أريد بها سواها * دعُوني هائمًا فيمن يُهيْمُ

فقد عاب عليه عبدالملك في تلك العبارة أنَّه وصف نفسه بصفات لا يصف نفسه بها عاشق متيم أحرقته الصبابة، بل أنَّه كثيرًا مدح نفسه في هذا البيت بأكثر مما تغزل في حبيبته حين وصف نفسه بالمهابة والجلال والخفر والحياء، وإنَّما تلك صفات المحبوبات لا بأوصاف المحبين.[6]

واجتمع في مجلس عبدالملك بن مروان جرير والفرزدق، فقال الفرزدق: النوار بنت مجاشع طالق ثلاثًا إنْ لم أقل بيتًا لا يستطيع ابن المراغة أنْ ينقصه ولا يجد في الزيادة عليه مذهبًا. فقال عبدالملك: ما هو؟ قال:

فإنِّي أنا الموت الذي هو واقع * بنفسك، فانظر كيف أنت مزاولُهْ
وما أحدٌ يابنَ الأتانِ بوائلٍ * من الموت، إنَّ الموتَ لا شكَّ نائلُهْ

فأطرق جرير قليلًا، ثم قال: أم حرزة طالق منه ثلاثًا إنْ لم أكنْ نقضتُه وزدت عليه! فقال عبدالملك: هات! فقد طلق أحدكما لا محالة! فأنشد:

أنا البدرُ يُغْشى نورَ عينيك فالتمس * بكفَّيك بابْنَ القين هل أنت نائلُهْ
أنا الدَّهر بُفنِي الموتَ، والدَّهر خالدٌ * فجئني بمثل الدَّهر شيئًا يُطاولُهْ!

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك! ومثل هذا ما يروى أنَّه اجتمع في مجلسه جرير والفرزدق والأخطل، فأحضر كيسًا فيه خمسمائة دينارٍ، وقال لهم: ليقل كلٌّ منكم بيتًا في مدح نفسه، فأيُّكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:[7]

أنا القطران والشعراءُ جربى * وفي القِطرانِ للجربَى شفاءُ

فقال الأخطل:[8]

وإنْ تكُ زُقَّ زامِلةٍ فإنِّي * أنا الطاعونُ ليس له شفاءُ

فقال جرير:[1]

---

1. إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية للطباعة، 1425هـ – 2004م، ص: 55
2. سورة الأنفال، الآية 32
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البين والتبيين، ج2، ص: 71 - 72
4. أمين، محمود جمعة، النَّقد الأدبي في العصر الأموي بين النشأة والارتقاء، مرجع سابق، ص: 63 وانظر إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النَّقد الأدبي عندالعرب، مرجع سابق، ص: 57
5. المرجع السابق، ص: 63
6. طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1394هـ – 1974م ، ص: 105 - 106
7. طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، مرجع سابق، ص: 108
8. الأخطل، غيَّاث بن عوف بن طارقة، الديوان، شرح وصنَّف قوافيه وقدَّم له مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ – 1994م، ص: 19

أنا الموتُ الذي آتى عليكم * فليسَ لهارِبٍ منّي نجاءُ

فقال عبدالملك: خذ الكيس، فلعمري أنَّ الموت يأتي على كل شيء.
اهتم خلفاء بني أميَّة بالشعر والشعراء اهتمامًا كبيرًا، لاعتمادهم عليهم في الدَّعوة لهم وإقامة دعائم دولتهم. فكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله-عنه- أوَّل الخلفاء الأمويين يحث على رواية الأدب، وينتقض من لا يرويه، وكان يقول: « اجعلوا الشعر أكبر همّكم وأكثر رأيكم». ومن ثم ظهرتْ صور هذا الاهتمام في قصورهم ومجالسهم وكان للشعراء جانب مذكور في تلك المجالس يستنشدهم الخلفاء ويحكمون بينهم، وينقدون شعرهم ويجيزون المجيد منهم بالجوائز السنية.[2]
ومن أمثلة النَّقد في مجالس الشعراء ما يروى أنَّ عمر بن أبي ربيعة[3] والأحوص[4] ونُصيبا[5] وكثير عزة اجتمعوا، فأقبل كثير على عمر فقال له: إنَّك لشاعر لولا أنَّك تشبب بالمرأة، ثم تدعها وتشبب بنفسك، أخبرني يا أخا قريش عن قولك:

ثم اسبطرتْ تشتدُّ في أَثَري * تسألُ أهلَ الطَّوافِ عن عُمَرَ

ونقد كثيّر عمر بن أبي ربيعة وهجن معانيه حين خلع عمر على نفسه أوصاف النساء وجعل أوصاف الرجال للنساء حين قال:[6]

قالت تصدَّى له ليُبصِرَنا * ثم اغْمزِيهِ يا أختِ في خَفَرِ
قالتْ لها: قد غمزتُه فأبى * ثم اسبطرتْ تسعى في أَثَري

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحتَ وأسأتَ وقلتَ الهُجْرَ؟ إنَّما توصف الحُرَّة بالحياء والإباء والبخل والامتناع، وأنَّها مطلوبة ممتنعة، ألا قلتَ كما قال هذا وضرب على كتف الأحوص:[7]

أدور ولولا أنْ أرى أمّ جعفرٍ * بأبْياتكمْ ما درتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوَّارًا ولكنَّ ذا الهوى * إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ
لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ * وإنّي إلى معروفِها لفقيرُ

وفي رواية أخرى: لو قد قلت هذا في هرة أهلكَ ما عدا أنْ تَنْسُبَ بها فنسَبْتَ بنفسكَ، أهكذا يقال للمرأة؟ إنَّما توصف بالحفر وإنَّها مطلوبة ممتنعة.[8] فانكسرتْ نَخْوة[9]عمر ودخلت الأحوصَ أُبَّهةٌ وعرفت الخيلاء فيه، فلمَّا استبان كثيَّر ذلك فيه قال: أبطل آخرك أولك، أخبرني عن قولك:

فإنْ تَصِلِي أصِلْكِ وإنْ تبيني * بِهجْرٍ بعدَ وصلِكِ لا أُبالي

أهكذا يقول الفحول؟ أما والله لو كنتَ حُرًّا لباليتَ ولو كسر أنفك ألا قلتَ كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب:

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أنْ يرْحل الركبُ * وقُلْ إنْ تملَّينا فما ملَّك القلبُ

فانكسر الأحوص ودخلت نصيبًا زهوة فلمَّا نظر فوجد الكبرياءَ قد داخلته قال له: وأنت يابن السوداء أخبرني عن قولك:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإنْ أمُتْ * فواكبدي مَنْ ذا يهيمُ بها بعدي

أهمَّك – ويحك – من يهيم بها بعدك؟ فلمَّا أمسك كثيّر أقبل عليه عمر فقال له: قد أنصتنا لك فأسمع أخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لمن تُحب حيث تقول:

ألا ليتَنا يا عزُّ[10] في غير ربيةٍ * بعيرانِ نرعى في الخلاء ونَعْزُبُ
كلانا به عُرٌّ[11] فمن يرنا يقل * على حسنها جرباءُ تُعْدي وأجرَبُ
إذا ما وردنا منهلًا صاحَ أهله * علينا فما ننفكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ
ودِدْتُ وبيتِ الله أنَّكِ بَكْرَة[12] * هِجَانٌ وأنَّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ
نكون بَعِيرَيْ ذي غنًى فيضيعنا * فلا هو يرعانا ولا نحنُ نطلب

فقد تمنَّيتَ لها ولنفسكَ الرقَّ والجرب والرمي والطرد والمسخ، فأيُّ مكروهٍ لم تمنَّ لها ولنفسك؟ لقد أصابها منك قول القائل: معاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودة أحمق. فجعل يختلج جسده كله، وقام القوم يضحكون.[13]

---

[1]. جرير بن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ – 1986م، ص: 14

[2]. سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص: 78

[3]. هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه، ولد سنة23هـ فمات فيها غرقًا سنة 93هـ. انظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص: 61،

[4]. هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري الأحوص من بني ضبيعة شاعر من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصرًا لجرير والفرزدق. ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه وتوفي في دمشق سنة خمس ومائة هجرية. انظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص: 224

[5]. هو نُصَيْب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل مقدّم في النسيب والمدائح، كان عبدًا أسود لراشد عبد العزّى من كنانة، وأنشد أبياتًا بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه، سُئِل جرير، فقال: أشعر أهل جلدته، كان له بنات من لونه، امتنع عن تزويجهنَّ للموالي ولم يتزوَّجهنَّ العرب، فقيل له: ما حال بناتك؟ قال: صببت عليهنَّ من جلدي فكسدن عليَّ. تنسَّك في أواخر عمره، وتوفي سنة 108هـ. انظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص: 324، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص: 410

[6]. عمر بن أبي ربيعة، الديوان، شرح وتحقيق وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شريف، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1978م، ص: 128

[7]. الأنصاري، الأحوص بن محمد، الديوان، جمعه وحققه عادل سليمان جمال وقدَّم له شوقي ضيف، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ – 1990م، ص: 160

[8]. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، ج1، ص: 332 - 333

[9]. النَخوة: الافتخار والتعاظم.

[10]. يا عزُّ: منادى مُرخَّم، عزب، يعْزُبُ: أي بَعُد وغاب وخفي.

[11]. العُرُّ: الجرب، وكذا العَرورُ والعُرورُ.

[12]. البكرة: الفتية من الإبل، (ج) بِكار. وهِجان: بيضاءٌ وكريمة

[13]. الصيفي، إسماعيل، بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، ط2، أسكندرية، 1410هـ – 1990م، ص: 26 – 27 وانظر عمارة، أحمد، دراسات في النَّقد الأدبي القديم، مرجع، سابق، ص:101

و من أمثلة النَّقد بين الشعراء – أيضًا – ما يروى أنَّ سكينة بنت الحسين كانت أديبة ظريفة، تعقد للرجال، ويغشى ناديها الشعراء،تستمع إلى الشعراء حينًا وتستنشدهم حينًا آخر، فقالت يومًا لكثيّر عزة: أأنت القائل:

فما روضةٌ بالحزنِ طيبةُ الثرى * يمجُّ الندى جَثجاثها وعرارها
ياطيب من أرادان عزَّةَ موهِنًا * وقد أوقدتْ بالمندل الرطبِ نارها

أي زنجية منتنة تتبخر بالمندل الرطب إلَّا طاب ريحها!؟ ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألم تراني كلَّما جئتُ طارقًا * وجئتُ بها طيبًا وإنْ لم تَطيَّبِ؟![1]

ولم تكن تلك المجالس التي تبرز فيها محاسن الشعر وعيوبه وقفًا على قصور الخلفاء ودور الكبراء، بل إنَّها اتّخذتء مظهرًا عامًا في سائر الجماعات التي كانتْ تفعل في مجتمعاتها ما يفعل الخلفاء والكبراء في قصورهم ودورهم، حيث كان بين بعض الشعراء تواد وتعاطف، فقد جمعتْهم صلة الشعر، وألَّف بينهم ما كان فيهم من اختلاف المنزع والاتجاه، ولم تعصف بهم ريح التنافس
والتحاسد. فكانت لهم مجالس لهوهم وسمرهم، فمن الطبيعي أنَّ مادة السمر فنهم الشعري ومطارحته والنَّظر في محاسنه، ودراسة عيوبه.[2]
أمَّا الشام فكانت مقرًا للخلافة الأموية ومهوى طالب الجاه والعطايا من الشعراء وغيرهم، وكان حزب الأمويين أقوى الأحزاب السياسية وأقدرها على اجتذاب الشعراء واصطناعهم بالأموال والهبات، وإذا كانت بيئة الشام بيئة غير شاعرة فقد استطاع الأمويون بوسائلهم أنْ يجتذبوا الشعراء إلى وطنهم، فقد أغرى المال والجاه كثيرًا من شعراء العصر، فأقبلوا عليهم مخلصين أو متملقين طامعين لينتفعوا بمالهم وجاههم بالإضافة إلى الشعراء الذين كانوا منقطعين لبني أمية من أمثال الأخطل التغلبي، وعبدالله بن الزبير الأسدي، ونصيب بن رياح مولى عبد العزيز بن مروان، ومن هؤلاء من اعتزَّ بهم بنو أمية أشدَّ الاعتزاز، مثل الأخطل الذي قال فيه عبد الملك بن مروان لما مدح بني أمية بقصيدته المعروفة(خف القطين فراحوا منك أو بكروا) والتي يقول فيها عن بني أمية:

حشدُ على الحقِّ عيافوا الخنا أنفٌ * إذا ألمَّتْ بهم مكروهةٌ صبروا
شمسُ العداوة ِحتى يستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أخلاقًا إذا قدروا

لكل قوم شاعر، وإنَّ شاعر بني أمية الأخطل، وسمَّاه شاعر أمير المؤمنين. وقوله: لأعشى ربيعة لما دخل عليه وعنده أبناه الوليد وسليمان، فقال له: يا أبا المغيرة، ما بقي من شعرك؟ فقال: والله لقد ذهب أكثره، وأنا الذي أقول:

وفضلني في الشعر والعلم أنَّني * أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحت إذا فضلت مروان وابنه * على الناس قد فضلت خير أب وابن

من يلومني على حب هذا، وأمر له بجائزة، وقطيعة بالعراق.[3]

المبحث الثاني : النَّقد في العصر العباسي

فالنَّقد في هذا العصر رأينا إمعانًا في الحضارة وإمعانًا في الترف، ورأينا في الشعر والأدب يتحولان إلى فن و صناعة بعد أنْ كانا يصدران عن طبع وسليقة، حتى لنرى كثيرًا من الكُتَّاب والشعراء من الموالي الذين عدَّوا عربًا بالمربى، ورأينا الثقافة تعظم وتتسع وتشمل فروع المعرفة كلِّها لا تقتصر على الثقافة الدينية والأدبية، ورأينا الثقافات الأجنبية تتدفق على المملكة الإسلامية من فارسية وهندية ويونانية، ورأينا كلَّ مجموعة من المعارف تتحول إلى علم حتى اللغة والأدب والنَّحو والصَّرف، حيث كان طبيعيًا أنْ يتحول الذوق الفطري إلى ذوق مثقف ثقافة علمية واسعة، وأنْ يتأثر النَّقد الأدبي بهذه الثروة العلمية والأدبية الواسعة.[4]
وفي هذا العصر برزت العصبية بين العرب والفرس، وازدادت حدِّة الصراع بينهما، هذا الصراع الذي أدَّى إلى زيادة نفوذ الفرس، وإلى قيام النزعات الشعوبية، وازدياد حركة اللهو والمجون، وكثرتْ الزندقة والزنادقة، وقد ساير الأدب كل هذه الحركات الجديدة، وعبر الشعراء عن هذه المظاهر، وأفاد النقد الأدبي من ذلك كله، فانفسح مجال النقد واتسعتْ مباحثه وتنوعتْ اتجاهات النقاد، واستطاع
النقد أنْ يحتوي نظرات النقد القديم ونظرات النقد الوافدة، وأنْ يخرج من بينها بما يتلاءم وشخصية الأدب العربي.. وعلى هذا فإنَّ هناك تيارات نقدية مختلفة أثرتْ في تقدم النقد وتطوره، وكانتْ التيارات في هذا العصر تتمثل في: [5]

1. نقد يجري في إطار النقد الجاهلي، فيعتمد على التعليق على بعض أبيات القصيدة ونقدها، ولا يزيد عن النقد الجاهلي سوى الإفصاح في الرأي.
2. أو نقد يقوم على الموازنة بين شاعر وآخر.
3. أو نقد يقوم على الحس الأدبي.
4. أو نقد يقوم على اللغة والنحو.

تعددتْ بيئات النَّقد الأدبي، واتسعتْ مجالاته، وكثرتْ روافده، وتأصلتْ نظرياته وتميزتْ أبحاثه تبعًا لازدهار الحضارة في عصرها الذهبي عصر بني العباس الذين فتحوا كلَّ النوافذ أمام الثقافة والتراث الإنساني، فقد شهد هذا العصر امتزاجًا واضحًا بين الثقافة العربية الأصلية والثقافات الوافدة مع غير العرب الذين دخلوا تحت راية الإسلام، ولمَّا كانتْ الدَّولة العباسية قامتْ على أكتاف الفرس، فقد كانت للحضارة الفارسية أكبر الأثر في الأدب وفي تحول النَّقد إلى مذاهب جديدة بعد أنْ تغلغلتْ الثقافة الفارسية وامتزجتْ بالحياة العربية، وتم نقل الكثير من كتب الفرس ومعارفهم إلى اللغة العربية، فقد كان الفرس أصحاب النفوذ السياسي والفكري في حياة الأمَّة العربية في هذا العصر، فكان منهم الساسة والوزراء والكُتَّاب، وصاروا أصحاب الجاه والرأي والسلطان.[6]

[1]. عمارة، أحمد، دراسات في النَّقد الأدبي القديم، مرجع، سابق، ص: 103
[2]. طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، مرجع سابق، ص: 111
[3]. عمارة، أحمد، دراسات في النَّقد الأدبي القديم، مرجع، سابق، ص: 116
[4]. أمين، أحمد، النَّقد الأدبي، مرجع سابق، ص: 379
[5]. عمارة، أحمد، دراسات في النَّقد الأدبي القديم، مرجع سابق، ص: 147
[6]. المرجع السابق، ص: 246

أخذ العلماء في هذا العصر يؤلفون في النَّقد وكان أول كتاب خرج في هذا الفن كتاب معاني الشعر للأصمعي، ثم كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، وأخرج محمد بن مسلم كتاب آخر في طبقات الشعراء، إلى غير ذلك من المؤلفات التي ظهرت في هذا العصر ككتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وقد ترتب على علو منزلة النَّقد في هذا العصر أنْ وضع العلماء قواعد البلاغة التي أفضل مؤلفاتها ما كتبه الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ومثلها كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري.[1]

وفي القرن الرابع أخذ العلماء في الاهتمام بوضع الموازنات بين الشعراء والكُتَّاب، وكان من أجل ما كتب في هذا الفن كتاب(الوساطة بين المتنبي و خصومه) لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فقد أنصف الفريقين في نقده إذْ وازن بين سيئات المتنبي وحسناته واستخرج من هذه الموازنة علو منزلة المتنبي وجلالة قدره. ثم كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني المولود بالمهدية من أعمال تونس عام 390هـ والمتوفى بمازد(من قرى صقلية) سنة 456هـ. ثم ظهر بعد ذلك كتب أخرى في النَّقد المرجع فيها إلى ما كتبه القدماء لا تختلف في جوهرها عنها بشيء.[2] فمنذ عصر الجاهلية كانت الموازنة أساسًا للمفاضلة بين الشعراء، أمَّا العصر العباسي بدأت الموازنة فيه أولًا بين بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس. ثم بين أبي تمام والبحتري، وبين المتنبي وخصومه، وغيرهم من الشعراء في هذا العصر.

وفي هذا القرن شهد ازهار الأدب مما جعل الآثار الفنية تبرز جلية على أيدي نفر من الشعراء الذين كانوا يمثِّلون قمَّة الهرم في الأشعار العربية أمثال أبي تمام، والبحتري، والمتنبي.

وفي هذا العصر ظهرت دراسات جادة وعميقة لآثار الشعراء الذين كثر بينهم الجدل، كما أنَّ ذوق النُّقاد قد أفاد من الفترات المنصرمة، فأصبحتْ له ركائز متينة، فكبر ثم تناول الآثار الشعرية تفسيرًا وتحليلًا وحكمًا.[3]

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد عبده ورسوله المختار وبدر التمام وعلى آله وصحبه أجمعين. فمن خلال دراستي إلى النقد الأدبي في العصرين الأموي والعباسي توصلت إلى عدة نتائج، وهم تلك النتائج ما يلي:

1. أنَّ النقد ظهر منذ عصر الجاهلية وعرف وجوده في الوقت الذي ظهر فيه الأدب.
2. ازدهار النقد في العصر الأموي ازدهارًا ملحوظًا، حيث كثر الخوض فيه وتعمَّق الناس في فهم الأدب وزانوا بين شعر وشعر وبين شاعر وآخر.
3. تحوَّل النَّقد والأدب في العصر العباسي إلى فن وصناعة، حيث تمعن الناقد في الحضارة بما فيها الترف.
4. أنَّ النقد في العصر العباسي يجري في إطار النَّقد الجاهلي، بحيث يعتمد على التعليق على بعض أبيات القصيدة ونقدها ولا يختلف عن النقد الجاهلي سوى الإفصاح في الرأي.

التوصيات

بناءً على ما تقدم من النتائج توصي الدراسة ما يلي:

1. كثرة عرض الأمثلة النقدية في الشعر العربي لفهم القارئ في المسائل النقدية عند بعض الشعراء.
2. الاهتمام بالنقد العربي القديم
3. وضع دراسة نظرية وتطبيقية في النقد الأدبي في العصرينِ الأمويِّ والعباسيِّ.
4. إبراز الآراء النقدية الأدبية في الشعر العربي في العصرينِ الأمويِّ والعباسيِّ.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الفيصلية للطباعة، 1425هـ – 2004م.

2. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق: محمد عيسى منون، المطبعة المليجية، ط1/ 1352هـ – 1934م.

3. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم *مقاييس* اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ – 1979م، ج5.

4. ابن منظور الأفريقي جمال الدِّين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان،ج14، 1419هـ – 1999م.

5. ابن منظور، الأفريقي جمال الدِّين محمد بن مكرم، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، لبنان، 1413هـ – 1993م، ج2.

6. الأخطل، غيَّاث بن عوف بن طارقة، الديوان، شرح وصنَّف قوافيه وقدَّم له مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ – 1994م.

7. أمين، أحمد، النَّقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1387هـ – 1967م، ج1.

8. أمين، محمود جمعة، النَّقد الأدبي في العصر الأموي بين النشأة والارتقاء، مطبعة زهران للطباعة، الأزهر، 1412هـ – 1992م.

[1]. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ص: 7

[2]. المرجع السابق، ص: 7

[3]. الربداوي، محمد، الحركة النَّقدية حول مذهب أبي تمام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 127 - 128

9. الأنصاري، الأحوص بن محمد، الديوان، جمعه وحققه عادل سليمان جمال وقدَّم له شوقي ضيف، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ – 1990م.

10. الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر،البيان والتبيين، ت: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1418هـ – 1998م، ج2.

11. جرير بن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ – 1986م.

12. حسين، عبد القادر، فن البلاغة، دار عالم الكتب، ط2، بيروت، 1405هـ – 1984م.

13. خليل، إبراهيم محمود، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4/ 2011م – 1432هـ.

14. الربداوي، محمد، الحركة النَّقدية حول مذهب أبي تمام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

15. الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، ط3، 1390هـ – 1970م، ج1.

16. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ط2، 1973م، ج2.

17. سلام، محمد زغلول، تاريخ النَّقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، دار المعارف، مصر، 1964م.

18. سلوم، داؤود، تاريخ النقد الأدبي الحديث من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، مطبعة الإيمان، بغداد، 1969م.

19. الشايب، أحمد، أصول النَّقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط10، القاهرة، 1994م.

20. الشوابكة، داؤود غطاشة، محمد أحمد صوالحة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دار الفكر، ط1، 1430هـ – 2009م.

21. الصيفي، إسماعيل، بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، ط2، أسكندرية، 1410هـ – 1990م.

22. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط9، القاهرة، 1962م.

23. طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1394هـ – 1974م.

24. عتيق، عبد العزيز، في النَّقد الأدبي، دار النهضة العربية ط2، بيروت، 1391هـ - 1972م.

25. عتيق، عبدالعزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، ط1406/4هـ – 1986م.

26. عمارة، أحمد، دراسات في النقد الأدبي القديم، مكتبة الرشد، ط2/ 1428هـ – 2007م.

27. عمر بن أبي ربيعة، الديوان، شرح وتحقيق وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شريف، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1978م.

28. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، ج1.

29. مناع، هاشم صالح، بدايات في النَّقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1994م.